موجز مقدمة المؤلف:

قمت من النوم يوما ما مذعورا وأنا أفكر لماذا يجب علىّ كتابة هذا الكتاب. لقد كنت خائفًا من أن أموت أو أفقد لياقتي الفيزيائية وماذا سيحدث لي عندئذ.

من ليلة لأخرى كنت دائمًا ولعدة سنين أصحو على تساؤلات عن السر الأعظم الذي يتوارى خلف وجودنا الفيزيائى، من نحن؟ ومن أين أتينا؟ لماذا نحن هنا؟ ماذا يحدث بعد الموت؟ ما الفيزياء وكيف ترتبط بعلم النفس والأحلام بل والتقاليد الروحية؟ما العلاقة بين حياتى أنا والحياة فى المجموعة الشمسية؟

لكى أتفكر فى هذه الأسئلة، تابعت أحلامى والتى انعكست على الفيزياء النظرية وكذلك تجاربى على مدى ثلاثين عاما حيث أعمل فى العلاج الطبيعى وعملت مع أفراد وجماعات عديدة فى حالات وعى طبيعية أو متباينة..

ولكى أجيب عن أعمق هذه الأسئلة أخذت أتفكر فيما أعرفه عن علم النفس، الشامانية(*) والفيزياء. وعندئذ جاءت الفكرة. للإجابة عن كل هذه الأسئلة.. لابد وأن تتوحد الفيزياء، علم النفس والشامانية في نظرية واحدة. يالها من مهمة مستحيلة! كيف يمكننى عمل ذلك؟.

فيما يلى من الأبواب، وفى هذا الكتاب، سوف أعرض كيف أن حالات الوعى الشبيهة بالأحلام هى المادة الأساسية للكون، أى إن المادة تتولد من الأحلام، وهذه الحالات هى وسيلتنا لكى ندخل ونخرج من العالم الفيزيائى. إنها أساسية ليس فقط للشامانية وعلم النفس وإنما أيضًا للفيزياء والرياضيات.

إننى وبعد خمس سنوات متواصلة من العمل على صياغة هذا الكتاب أرى الفيزياء إمبراطورا بلا ملابس، وقائدًا ليس مؤهلاً للقيادة. إن الكيمياء والبيولوجيا والطب تتمحور حول الفيزياء كأكثر العلوم مركزية وتأثيرًا فى العلوم الأخرى، ولكن تفسير القوانين الفيزيائية مازال غير معروف.

تبدو الفيزياء فى هذا الكتاب كبيت بنى بلا قاعدة؛ لذا يندهش الفيزيائيون لكون الرياضيات تتنبأ ببعض الظواهر قبل أن تشاهد. وكما نعلم فإن الفيزياء تمكننا من بناء الحاسبات ومركبات الفضاء، ولكنها مازالت تحتاج للشامانية وعلم النفس لكى تفسر علم الرياضيات والإنجازات الفيزيائية.

(*) الشامانية: دين بدائى من أديان شمال آسيا وأوروبا، يتميز بالاعتقاد بوجود عالم محجوب، عالم الآلهة والشياطين وأرواح السلف، وبأن هذا العالم لا يستجيب إلا لكهنة هذا الدين (الشامان).

لقد أصبح واضحًا أن الرياضيات والفيزياء تعتمدان على ما تعرفه الشامانية وعلم النفس منذ زمن طويل، ألا وهو مقدرة كل شخص التعرف على الأحداث الذكية، والتى تشبه فى الواقع الأحلام. إن «العقل الكمى» هوعبارة عن عملية إدراكنا للقوة السحرية الكامنة فينا للمشاركة فى خلق الواقع. إننى أناقش كيفية تفاعل الطبيعة بشكل ذكى مع نفسها على خلفية إدراكنا الحسى، لتخلق العالم الذى نحسه ونلاحظه.

إننى أسمى عالم النفس والشامانية والفيزياء؛ حيث العالم الذى تحدث فيه الأحداث قبل أن نراها، أسميها «بالعالم غير المحسوس». لقد سماه عالم علم النفس الكبير س. ج. يونج بـ «العقل الباطن الجمعى» Collective subconscious. أيضا سماه عالم الفيزياء الحائز على جائزة نوبل دايفيد بوم David Bohm «بالكمال التام» unbroken wholenees. كما أسماه عالم الفيزياء الحائز أيضًا على جائزة نوبل فيرنر هيزنبرج Werner Heisenberg عالم نزعات الدالة الموجية Tendencies of quantum wa re function. يسمى العامة هذا العالم – حيث تتواجد الأشياء قبل أن نلحظها بعالم الأحلام. يرتبط التنوير فى البوذية بمعرفة هذا العالم. إننى أزعم أن هذا العالم هوالأساس لتوحيد الفيزياء والميثولوجيا(*).

لقد اكتشفت كيف يمكن أن أنفذ إلى عالم الأحلام الذي يتوارى خلف العالم الفيزيائى، وكيف يمكن أن أخطو خارج الزمن عن طريق الفيزياء والشامانية، وكيف يمكننى أن أصيغ هذه الأفكار الجديدة بحيث يفهمها القارئ العادى والعالم المتمكن؟ كان كل هذا تحديًا آليت على نفسى أن أقوم به وأنجزه.

لقد قمت بتدريس الفيزياء فى عديد من الدول، وتوصلت إلى أن أساسيات الرياضيات ما هى إلا تجليات لأنفسنا نحن، وكذلك وجدت أن رياضيات ميكانيكا الكم ماهي إلا بيت ملئ بكنوز الشفرات (codes).

لقد طفت بالعديد من بلدان العالم وتأثرت جدا بثقافة القبائل التى تعيش على نهر الأمازون فى البرازيل، والتى تقيم احتفالات تجمع بين الطقوس المحلية والأفريقية والمسيحية والتى لاحظت فيها تماثل الكون، والذين سمحوا لى بأن آخذ الورقة والقلم لكى أسجل خواطرى عن الفيزياء وعلم النفس، التى أوحت لى بها هذه الروح العظيمة المتجسدة فى هؤلاء البشر.

(*) الميثولوجيا: العلم الخاص بدراسة الأساطير.

فى حالة نشوة غمرتنى عندما كنت بالأمازون، تنبهت إلى أن التناقض بين داخلى الفيزيائى وعلم النفس والشامانية يمكن أن ينفك إذا ما اتحدت كل هذه الأشكال المتنافرة فى داخلى لكى تتعاون فى كتابة هذا الكتاب.

أرنولد ميندل

أوريجون ١٩٩٩